

طعم النصر وبارقة الأمل

النائب عزمي بشارة سبق وأشار في الماضي بدور المقاومة اللبنانية وحزب الله، الأمر الذي أثار حفيظة اوساط واسعة من اليمين الإسرائيلي وهناك من طالب بإخراجه من البرلمان الإسرائيلي. قال في خطابه " أول مرة منذ ذلك حزيران المشؤوم نذوق طعم النصر ونحاول أن نلمح بارقة الأمل في الوضع العربي الذي نشأ بعد حزيران عام 1967. الحقيقة أننا لو تعلمنا دروس النكبة لما كانت حرب ونكسة 1967. أعتقدنا أن الأنظمة العربية قامت على أساس دروس النكبة، لكن اتضح عملياً أن الدروس الأساسية وتعامل الأمة العربية مع إسرائيل والكيان الصهيوني لم يتم تعلمها وهضمها رغم أن الفترة ما بين 1967-48 هي فترة عزيزة على قلوبنا وقلوب القوميين العرب.

أنا لا أقول أن أحداث لبنان الاخيرة والانسحاب غير المشروط تم تجاوز موضوعات النكبة ونكسة 1967. هنا لدينا حالة ضيقة، عينية ومصغرة في أضعف دولة عربية. وعليه، علينا استغلال واستخلاص العبر والدروس بالتعمق وليس بالنتائج السطحية والأهم التعمق بالموضوع النموذجي الذي قدمته المقاومة وحزب الله... الوضوح في الهدف والرغبة في تحقيق الانتصار واعداد الأدوات اللازمة لمواجهة الاحتلال، وأحزاب مسلحة خاضت حرباً دون أن تتعرض الدولة بأسرها للحرب.

كان من المفروض ايجاد توازنات صحيحة وهي الرغبة في الكفاح المسلح وعدم تعرض لبنان لما لا يستطيع احتماله. والأهم التعامل مع قدرات وطاقات الجماهير. وعدم التحامل عليها إلى جانب ذلك تسخير كافة التناقضات للاحتلال وعدم العبث في التناقضات ومحاولة أن تكون المقاومة موضوع اجماع قومي في العالم العربي دون الدخول في التناقضات المتواجدة فيه.

ما ميز حرب 1982 أنها حرب غير متفق عليها في إسرائيل وكانت معارضة تستغل كل قتييل يسقط في لبنان من أجل الطعن بالحكومة وتضخيم حجم القتلى لتظهر الحكومة الاسرائيلية وكأنها على خطأ.

مقاومة مثل حزب الله تدرك أنها لن تهزم إسرائيل عسكرياً وكسر الأدوات والترسانة العسكرية الإسرائيلية، ما تستطيع أن تفعله المقاومة هو أن تلحق الخسائر الفادحة بإسرائيل وجنودها وتحديد قوة الطرف الآخر في الاستمرار. إسرائيل لو كانت حرة لحرقت لبنان لكن تصرف وحكمة المقاومة منعها من ذلك.

المقاومة كانت حكيمة في هذا المضمار وفكرت كيف لا تعطي مبرراً للطرف الآخر واستخدام كل قوته، ولكي لا تخسر القضية. وعرفت كيف ومتى تضرب ضربتها. للمقاومة كان وضوح في الهدف والمثابرة والعناد والواقعية إلى أن وصلت إلى هدفها. الحديث والنقاش في داخل إسرائيل حول الانسحاب من طرف واحد هو مجرد حديث بين معارضة وائتلاف ليس إلا، كان أمام إسرائيل خياران، إما الخروج من لبنان ضمن اتفاق شامل مع لبنان وسوريا وإما أن تخرج بدون شرط أو قيد ومهزومة ومهانة.. ولم يتم الخروج والانسحاب بشكل أنيق.

من حق المقاومة اللبنانية، التي استثمرت طاقتها في المعركة، أن تستثمر طاقتها سياسياً ومعنوياً بمقاييس حرب العصابات هذا هو الانتصار، حزب الله انتصر وذنقنا طعم الانتصار أول مرة منذ 33 عاماً.

هذه هي قواعد اللعبة في لبنان، إسرائيل لم تحترم القوانين والقرارات الدولية ولم تستشر أحداً عندما اجتاحت لبنان. إذا لماذا تخرج من لبنان بتغطية و اتفاق سلام.. لقد هزمت إسرائيل وتحاول التغطية على هزيمتها بالشرعية الدولية. المقاومة اللبنانية، إذا لم نفهم تصرفها بعد المعركة فلا نفهم المغزى الحقيقي بغض النظر عن تصريحات البعض. المهم هو النموذج الذي أعطته المقاومة بعد الانتصار ويقدم مفاهيم لم تكن واردة في العالم العربي سيادة القانون واحترام الدولة، وعلى ما يبدو نحن، الفلسطينين، "مطولين" حتى نفهم هذه القضية.

هناك فرق بين قواعد اللعبة ضد الاحتلال وقواعد الوحدة للشعب تحت سيادة القانون، طالما انتهت المعركة. قد يكون بعض المواطنين ارتكب جريمة أو خيانة يجب أن يحاكم عليها بالقانون ولكن بانتهاج المعركة لا يوجد صدام وإنما قانون.

نحن الآن نرى بوادر مشجعة في نقطة واحدة رغم حالة الإحباط.. عندما نراقب العالم العربي، بريق الأمل هو البدء في تقليص الفجوة الحضارية. وهذا صراعنا الأساسي مع الحركة الصهيونية. فعلياً أن نفهم المغزى العميق في المعركة الفاصلة والهامة في الصراع العربي الإسرائيلي.

مع كل هذا الوضع نتوقع في الشهرين القادمين أن يزداد الضغط الأمريكي والإسرائيلي على القيادة والشعب الفلسطيني وخصوصاً في شهر أيلول، ومن يتوقع أنه يوجد حل للقضية الفلسطينية في شهر أيلول فهو واهم وعملياً أقتنع في داخله بالشروط الإسرائيلية، لا يمكن أن يكون حل عادل بتوازنات القوى الحالية المطروحة والشروط الإسرائيلية.

يهود براك يطرح نموذجاً جديداً للدولة الفلسطينية. وأمريكا تتبنى هذا الموقف وتلقي بالكرة للملعب الفلسطيني، ها هو براك، تقول الإدارة الأمريكية مستعد للاعتراف بدولتكم وعليكم التنازل عن قضية المستوطنات والقدس واللاجئين، ما نشهده اليوم هو عبارة عن السيناريو الذين يحاولون فرضه على الفلسطينين، وإسرائيل تقبل مفهوم الدولة، ضمن الحدود التي تحددها إسرائيل فأسهل دولة يمكن تعريفها بأنها دولة تحدها من كل الجهات إسرائيل.

في ظل هذه الظروف يلزم الاعداد لكل الإمكانيات للسمود أمام إسرائيل وأمريكا، القصد ليس مجرد إعلان دولة فلسطينية.. السؤال كيف نعلن الدولة هل هو للتصعيد والأزمة؟

والسؤال الثاني هل لدينا مقومات لخوض الصراع والسمود؟

نحن نشهد في هذه المرحلة بداية للمدى البعيد أياماً هامة ومصيرية لطرح القضية الفلسطينية عالمياً ومحلياً. والسؤال ماذا سيكون دور الأقلية العربية وعرب الداخل في هذا الصراع؟ هل هو الموقف المتفرد أو نقف إلى جانب إخواننا ونزيد من صمودهم ونشد أزهم... وهل نحن كأقلية عربية في الوضع الحالي قادرون على لعب هذا الدور.

علم فلسطين ليس موضوع موضة للمنافسة، الموضوع هام من الناحية القومية والوطنية والقضية ليست إعلامياً، إن قامت دولة فلسطينية فالعلاقة بيننا لن تكون بين دولتين بل علاقة الشعب الواحد.

واختتم بشارة خطابه بالتأكيد أن هناك عدة تساؤلات لعرب الداخل:

هل نحن عرب الداخل قادرون على تقديم نموذج كما في الضفة الغربية وقطاع غزة؟ هن نحن في الداخل ديمقراطيون؟ هل قمنا ببناء مؤسساتنا للإدارة الذاتية؟ المطلوب منا ليس إبداء النصائح والتفاخر بالديمقراطية التي لم نعملها نحن أصلاً، إنما اليهود.. كأقلية عربية علينا أن نكون نموذجاً كحركة وطنية وأحزاب سياسية قادرة على إدارة

المجتمع العربي في الداخل، وعلينا أن نؤكد أن صراعنا مع إسرائيل يتمحور حول الأرض ومناطق النفوذ والسجناء السياسيين والتعليم.. وعلينا أن نضع لأنفسنا جدول أعمال نتعامل معه، كل من موقعه".

عزمي بشارة: نتابع جهد سورية القومي لتنسيق المواقف العربية وقررنا مواصلة الصمود

دمشق

صحيفة تشرين الأول

ذكرى الرحيل

الاثنين 11 حزيران 2001

وألقي الدكتور عزمي بشارة المفكر العربي الفلسطيني كلمة فلسطيني عام 1948 هذا نصها:
سيادة الرئيس الدكتور بشار الأسد..
فخامة الرئيس لحد..
سيادة نائب رئيس الجمهورية الإسلامية الإيرانية..
سيداتي وسادتي..

أتيت وملء خاطري قافية شوقي يوم نكبت دمشق بنار المحتل، أتيت وكان دمشق المنكوبة عام 1925 تتمثل اليوم في كل بقعة من بقاع فلسطين، وكما نهضت سورية عربياً عربياً سوف تنهض كل أنحاء فلسطين المنكوبة بألة الحرب الأميركية – الإسرائيلية، وكما صد فتیان الشام بأيديهم وصدورهم دبابات المحتل يقف أهلكم هناك في الوطن الجريح يزفون عروساً أثر عروس والشمس مشرقة والغد كله ألق، فهل يدرج سيزيف فلسطين الصخرة ليبدأ من جديد بعد كل جولة صراعه العبثي مع لعنة القدر بعد أن فنتتها حجارة يرمى بها المحتل.

هل نلعن اللعنة ونمضي جولة إثر أخرى، او نبغي النصر؟ هل نحب فلسطين أو قضية فلسطين؟ نحن نريد الانتصار وبناء مجتمع فلسطيني عصري وسعيد في وطن حر، ولأننا نسعى لذلك لا بد من تعداد العوامل اللازمة لتحقيق هذا النصر، فلماذا نكتشف عند كل حصر لهذه العوامل من الصمود والتصدي الميداني وصلابة الإرادة وحتى إعلام من لا يعلم أن العامل العربي غائب في حضوره، حاضر في غيابه، لقد قيل: ان القضية الفلسطينية هي جوهر الصراع العربي – الإسرائيلي ويبدو لي أن الصراع العربي – الاسرائيلي هو جوهر القضية الفلسطينية او هكذا علينا أن

نفترض على الأقل لكي يكون بالإمكان الاستمرار بالنضال إزاء حكومة احتلال إسرائيلية تعد العدة السياسية للمواجهة الشاملة ولا تطرح خيارات سياسية ولا حتى حلاً مجحفة تصلح لتبرير التعاطي معها.

سلام شوقي أرق من صبا بردى
وسلامي سلام من لظى له في القلب عمق
سلامي سلام اللهيبي سلام ريح السموم
ألا ترون أننا من لفحها سمر
انطوى عام على رحيل حاضر
إليه تلفت وإليه خفق
ولا عجب سورية أليست دمشق للاسلام ظهراً ومرضعة الأبوة لا تعق
صلاح الدين تاجك لم يرحل
ولم يوسم بأزين منه فرق
وكل حضارة في الأرض طالت لها
من سرجك العلوي عرق
وان كان شوقي قد نصح وهو مختلف دارا
فانني ابن هذا الوطن
أت لأننا كلنا في الهم شرق
أت إلى مهد العروبة سادتها
إلى سورية يسلم الراية المقدسة جيل لجيل وتخفق عالية فستظل بغيثها وتنسم أمجاد قوميتها
فلتحيا قومية كانت لنا نسبا
يضم أشتاتنا ما فاتنا النسب
تالله لا نرتقي إلا إذا اتحدت
تلك المآذن في الأوطان والقبب
ولتستعد لغة الضاد التي دعيت
أم اللغات شبابا بردة قشب
ان لم نكن كلنا في أصلنا عربا
نحن تحت لوها كلنا عرب

انطوى عام على الرحيل وأصبحنا نحبي الذكرى والذاكرة كما تعلمون انتقائية فكل ذاكرة جماعية تتضمن أيضاً نسياناً جماعياً وقبل أن يحاصر النسيان الذاكرة في المناطق التي يرغب اخترت أو انتقيت أن أذكر أن خصوم الراحل الكبير حافظ الأسد وأصدقائه قد اعترفوا له في حياته باستثماره المثابر والعنيد للعقل في السياسة والعقل ضد الجهل حيث لا

ينقسم الحيز السياسي بين لاعتقالية تبدو من ناحية وتوجه استسلامي يبدو عقلائياً من ناحية أخرى ولا طريق لتحقيق الانجازات سواء في المجال الاقتصادي – الاجتماعي أم في المجال السياسي بازواجية كهذه.

المعركة معركة تحديث وتحرير والتصدي للاحتلال يفرض تحدي الحداثة ولا تناقض بين الأصالة والحداثة بل وحدة اضداد جدلية تجمعهما في هوية واحدة هي هويتنا العربية، ولا يخشى الحداثة إلا القاصر عن الدفاع عن الأصالة، وللحداثة مقوماته من تنوير العقل وتحكيمه في قضايا الطبيعة والمجتمع إلى سيادة الشعب باعتبارها عقداً اجتماعياً بين أفراد أحرار.

نحن يا سيادة الرئيس نتابع وأيدينا قابضة على الجمر، جهودكم الجبارة في تحديث الاقتصاد وإصلاح نظم الإدارة ونعتبرها مهام قومية وهذه ليست استعارة لغوية وقلوبنا الدامية معكم ونحن نتابع جهودكم القومي المباشر لتنسيق المواقف العربية المشتتة هناك يا سيادة الرئيس حيث قررنا الصمود والبقاء، هناك حيث نلتقي في كل شيء بنقيضنا هناك حيث التواصل المحاصر مع شعبنا الفلسطيني وحيث الحصار يتواصل، شبابنا ينشدون حلماً عربياً ولكنهم في الواقع ينشدون موقفاً عربياً.

لم يعد بالامكان ياسيادة الرئيس الاستمرار دون توسيع الحيز بين إمكانية الحرب الشاملة وعدم إمكانية الاستسلام، حكومة شارون ما يميزها أنه بعد انتصار المقاومة اللبنانية التي استفادت من هذا الحيز الذي وسعته سورية باستمرار بين قبول الشروط الإسرائيلية المسماة سلاماً دائماً وشاملاً وبين الخيار العسكري في هذا الحيز افاد عناد ومثابرة وبطولة قيادة وأفراد المقاومة اللبنانية، ولكن بعد انتصار المقاومة وبعد جنيف وبعد اخفاق كامب ديفيد أنتت حكومة إسرائيلية تحاول أن تضيق هذا الحيز لتطرح خياراً إما قبول الشروط الاسرائيلية وإما الحرب الشاملة ولا يمكن الاستمرار في الخيار الثالث خيار المقاومة إلا بتوسيع هذا الحيز من جديد ليستطيع الناس أن يناضلوا ويقاوموا ولا يمكن توسيع هذا الحيز إلا بموقف عربي سياسي موحد وفاعل دولياً وقد آن الأوان لذلك.

والسلام عليكم ورحمة الله.